

تربية

ما بين البيت والمدرسة تتدرّج أعباء اعراضه
كيف يبدأ الانحراف عند المراهقين؟

لا يمر عمر المراهقة من دون مؤشر لسلوك انحرافي، وإلا يكون الانسان قد خسر جزءا من حياة لم يعيشها في مراهقته. العوامل المؤثرة والدافعة الى هذا السلوك عدة. لكن ما يخص التنشئة الاجتماعية يشكل، لوحده، اساسا للانحراف او عدمه. وهو كموقف موجه الى الاهل قبل المجتمع، لان المراهق، منذ طفولته، يعاني من نقص في الحب

يتحمل المجتمع مسؤولية انحراف المراهقين باعتبارها الجهة التي حملها الناس مسؤولية التنشئة الاجتماعية. اذا نظرنا الى المناخ المدرسي

سنجد اسبابا كثيرة دافعة الى الانحراف عند الاطفال والمراهقين. هذا العامل السلبي تمكن من التساوي بين الفقير والغني، عبر لغة خاصة

فرنسيس: المراهق الممتلئ حبا
لا حاجة به الى الانحراف

■ كيف يبدأ الانحراف عند المراهقين، وما هي دلائله الاولى؟

□ في الاجمال لا يمر عمر المراهقة من دون مؤشر لسلوك انحرافي عند الفرد، والا يكون الانسان قد مر في هذه المرحلة من دون ان يعيش مراهقته. مؤشرات هذا السلوك تبدأ بأسلوب اللباس والوان الشعر وتسريحاته الغريبة، اضافة الى اتباع مفردات لم يكن المراهق يستعملها في حديثه من قبل، ولا هي مشابهة لما يقوله الناس او سائده في بيئته. لدى المراهق قاموسه الخاص في التعبير وفي اختيار ما يتلاءم مع ذوقه واقتناعه. الجسد وكيفية اطالته يعبران عن عمر المراهقة، وعن رغبة ابنائها في الخروج عن المألوف والسائد في المجتمع. هذا كله كي يقول هذا الشخص انه لا يريد التشبه ببيئته العائلية، مهما كانت مكانتها الاجتماعية، مهمة او غير مهمة، فهو مقتنع بان لديه هويته الخاصة ويريد اظهارها واثباتها في المجتمع عبر سلوكه الخاص. اما اذا اردنا الدخول الى ما هو ابعد من الانحراف، فنصل الى حالات يكون المراهق فيها قد ضيع نفسه بتعاطيه المخدرات ليدخل في مشكلات تعتبرها الحد الاقصى للانحراف.

■ ما هي العوامل النفسية التي تجعل المراهق شخصا منحرفا؟

□ العامل النفسي الاعم في هذه المسألة والاكثر

■ ماذا يعنى السلوك الانحرافي وراءه، وماذا يقول المراهق من خلاله؟

□ يقول هذا السلوك ان المراهق يعيش قلقا حيال شيء ما في بيئته، من قصة معينة، سببت قلقا لاهله ولوالدته، تحديدا، ويريد ان يقلق

يلجأ اليها المراهقون للتعبير عما في داخلهم من تدمر، خصوصا تجاه النظام القمعي الموجود في مجتمعنا الذي تحول الى ارض خصبة للانحراف. في ازمة المراهقين مع الحياة والانحراف، حاورت "الامن العام" استاذة علم النفس - الاجتماعي في الجامعة اللبنانية المعالجة النفسية الدكتورة ميري فرنسيس، واستاذة السوسيو-انثروبولوجيا في الجامعة اللبنانية الدكتورة تريز سيف.

لا يمر عمر المراهقة من
دون مؤشر لسلوك انحرافي

استاذة علم النفس - الاجتماعي في
الجامعة اللبنانية المعالجة النفسية
الدكتورة ميري فرنسيس.



معها. الانحراف يخبئ وراءه انهيارا عصبيا، وليس صحيحا ان هذه المشكلة لا تصيب الا كبار السن. فهي تطاول المراهقين والاولاد ايضا. ما يخبئ هذا الانحراف هو تكوين المراهق شخصيته وقد بدأ بالرفض وقول الا، خصوصا، للقوانين الموضوعية من اهله، لذا عليه ان يتمرد. هذا الوضع يدل على ان المراهق بدأ يثبت ذاته كشخص. في حال عدم

نجاحه في خطوته هذه، سيذهب الى ابعد، اي الى تعاطي المخدرات.

■ من هو المعنى الاول بالسلوك الانحرافي عند المراهق، وكموقف هو ضد من بالذات؟

□ بحسب علم النفس العيادي غالبية العلاقات الاجتماعية هي صورة مشابهة عن العلاقات التي يعيشها المراهق في طفولته، مع اشخاص تولوا تربيته مثل الام او الاب، او ربما شخص آخر بعيد من العائلة. من تربى على ايديهم يكونون المثال الذي اعطي له من خلال هذه التربية في ادق تفاصيلها، حتى في كيفية التصرف. لذلك يكون الشخص المعنى بالسلوك الانحرافي عند المراهق له علاقة بتربيته او عاش طفولته معه، عمته مثلا او خالته. ليس من الضروري ان تكون امه. استشهد هنا بوضع تلميذ في صف البكالوريا يعامل معلمته بطريقة عدائية. هذه الطريقة ليست موجهة اليها بشكل مباشر، وكما نسميها في عملنا العيادي، هي تمثيل الجهة التي تولت تربية الشخص. صحيح ما يقال عن ان الانسان سر كبير. لكنه في نظري السر الاكبر.

■ تقول التحليلات في هذا المجال ان الفقر ومعاناته وراء انحراف المراهقين. كيف نفسر، اذا، انحراف ابناء الاغنياء؟

□ انحراف المراهقين يحصل في بيئتين متناقضتين تماما. الاولى هي البيئة التي تعاني من فقر مدقع، والثانية هي التي تعيش في غنى فاحش وفائض عنها ايضا. هذه المشكلة ليست مرتبطة بالمال، بل بنوعية العلاقة بين الاهل والاولاد خصوصا في ما يخص المفردات التي يستعملونها في احاديثهم مع ابنائهم. اذا كان المحور في هذه المخاطبة هو الحب، فلا وجود لانحرافات في حياة المراهقين. لذلك اعود واؤكد على اهمية الحب في حياة هؤلاء الناس. البيئة الاجتماعية تكون احيانا محرضا لاتجاه المراهقين نحو الانحراف. لكن اذا كان الحد الادنى في داخل هذا الانسان ليس حاضرا له، لانه ممتلئ حبا ومكتمل ذاتيا منه، من المستحيل ان ينحرف لانه ليس في حاجة الى ذلك. اما اذا تواجد هذا المراهق في بيئة اخرى مغايرة لما ذكرت، فهناك احتمال كبير للاتجاه نحو هذا السلوك، والسبب حاجته الى التعبير بهذه الوسيلة. الاساس في هذه المشكلة هي الام. اذا احبت هذا الولد كفاية ام لا. ◀

المقال

لا لوم على المراهق إذا انحرف

لا يولي كل الاهل ولا مجتمعنا، بتربيته المعقدة والمتزمتة، اهمية كبيرة للشأن العاطفي في العلاقة مع الابناء، اطفالا او مراهقين. كأن دورهم او مهمتهم، كاوصياء، هو في توجيه اللوم والانتقاد والادانة على اي سلوك نافر يصدر عن ابنائهم، خصوصا اذا رأوا فيه خروجا عما هو سائد ومتبع عند شرائح المجتمع المختلفة، في ما بينها، على مسائل اساسية وجوهريّة في الحياة، في مقابل تفاهم ضمني بينهما على عدم تجاوز ما هو متوارث من مفاهيم، ولو خاطئة، خصوصا المحرمات التي لا تمس اطلاقا. هذا العامل بالذات يشكّل اول حجر عثرة في درب من اطلوا على الحياة، حديثا، من اجل معرفتها والتعرف اليها من باب الصداقات والعلاقات العاطفية الاولى في حياتهم. علما ان الشغف الآتي من داخل هذه البراعم يخفي وراءه قلقا وخوفا لا مبرر له، وفراغا داخليا، ومشاعر لا يفهمها المراهق.

من هذه المسائل الحساسة جدا يبدأ سوء التفاهم بين الاهل والمراهقين، مع اختلاف انعكاسات هذه المشكلة على كل مراهق، وذلك بحسب ما تتمتع به عائلته من بعد ثقافي يملئ عليها الانفتاح على اوضاع ابنائها المراهقين. لذلك من الضروري الاشارة الى جانب في المشكلة يقول ليس كل المراهقين اشخاصا منحرفين. اما سبب هذا الفارق الجوهرى لمن يواجهون المشكلات نفسها دائما، فيتمثل في اسلوب تعامل الاهل مع اولادهم اليافعين في قضاياهم الملحة والمحققة في ان. وتحديدًا في مسألة منحهم الحرية الشخصية ام لا، او في اعطائهم استقلاليتهم الذاتية ام لا، وبأي قدر سيكون ذلك. فاذا كان موقف الاهل حرمان المراهق من هذه الحقوق، فمن الطبيعي ان يبدأ بردود فعل على واقع حدد له شروط العيش وكيف يكون وضمن اي اطار. رد الفعل هذا يكون باتباع سلوك منحرف في المجتمع يكون اشبه بالمحرمات، كرد فعل على حرمانه من مراهقته.

نعرف ان صراع الاجيال لم ينته ولن ينتهي. لكن المحير في هذا المجال، هو حرص الانسان على مواكبة كل تطور حبا بالانفتاح ومعاصرة الحداثة، لكن بقشورها والاشياء المادية لا الجوهرية في الحياة. وذلك في مقابل اصرار على البقاء في اقصى الزوايا المعتمة فكريا التي ترى الانغلاق في وجه المراهقين ومسائلهم الخاصة الحساسة ضرورة تربوية. علما ان الدور الحقيقي والفاعل للاهل هو في اخراج ابنائهم من سجن انفسهم. لذا، لا لوم على المراهق اذا انحرف، بل على من عجزوا عن حضن ابنهم، كفاية، قبل وقوعه في بؤرة الانحراف.

تنيز مشنتاف

denise.mechantaf@gmail.com



٧٢ سنة

إنتو الأمل و نحننا الأمان



الانحراف كفعل موجه الى الاهل قبل المجتمع



استاذة السوسيو - ايتروبولوجيا في الجامعة
البنانية الدكتورة تيريز سيف.

من بعده نحو الانحراف، ونحو تعاطي المخدرات تحديدا. اطلق علم الاجتماع على هذا الوضع تسمية "الانسحابية" التي تنطبق على كل الفئات الاجتماعية، الفقيرة والغنية. وهي تقوم على رفض الاهداف والوسائل التي يقرها المجتمع. نتيجة ذلك يلجأ أبناء الطبقتين المتناقضتين في المجتمع الى وسائل غير مشروعة لتحقيق احلامهم، لتكون فئة الاتجار بالبشر والادمان على المخدرات من ابرز الوجوه فيها.

■ هل هناك من حل لحد من هذه الظاهرة؟
□ المطلوب المواكبة لكل الافعال الصادرة عن المراهقين بالمساءلة وليس بالمحاسبة. النظام القمعي الموجود في مجتمعنا ارض خصبة للانحراف. على ان يُفك اسر محرمة من المحرمات الموروثة في مجتمعنا من اجل ان نعطيها تربيته انسانية، ولكي نعطي انفسنا صراحة التحدث عنها.

د. م

سيف: التنشئة الاجتماعية اساس الانحراف او عدمه

□ الانحراف كفعل او كموقف موجه الى الاهل قبل المجتمع. ما يريد قوله المراهق من هذا السلوك هو رفضه الواقع والاسلوب التربوي والمدرسة، ويريد، بسبب ذلك، ان يستمتع احد اليه. ولأن لا وجود لهذا الشخص في بيئته سيُعبّر عن ذاته بهذه الطريقة، اي بالانحراف. ما قبل بداية مشكلته هذه كان يرغب في الاقتناع بما هو مرفوض في مجتمعه لأن هذه المسائل، اي المرفوض والمقبول، منعه من العيش كما يحب، فلجأ الى الانحراف كي يقول الى الجهة المسببة له اذا ذهبت في اتجاه يخالف طريقكم ربما ستسألون عني وتلتفتون الي.

■ ألا يتحمل المجتمع مسؤولية هذا الانحراف؟

□ طبعاً، بنسبة مئة في المئة، لأنه الجهة التي حملناها مسؤولية التنشئة الاجتماعية التي تتوزع على الاسرة والمدرسة ووسائل الاعلام والبيئة الحاضنة والرفاق والحي والفراغ الداخلي عند المراهق. هذه الجهات مجتمعة تشكل اساس مشكلة الانحراف عند المراهقين، وكل جهة من موقعها ودورها تتحمل المسؤولية لوحدها.

■ كيف يفسر علم الاجتماع انحراف ابناء الغنياء في وقت ارتبط هذا السلوك بالفقراء؟
□ هناك ما يسمى التوازن بين الاهداف التي وضعها المجتمع في نظامه الخاص، والوسائل المشروعة لتحقيق هذه الاهداف. من المعروف ان الوسائل المشروعة هذه غير متوافرة للفقير بسبب كلفتها المادية، لتكون هذه العثرة منزلقا لسقوطه في الانحراف. هذا الجانب ليس مصدر المشكلة عند المراهق الغني، لان والده وفر له كل دعم مادي في مقابل عجزه عن تأمين ما يحتاج اليه ابنه المراهق من عاطفة. هذا العجز يكون سببا لدخول هذا المراهق في فراغ داخلي يتجه

■ ما هو التفسير العلمي للانحراف، واي حالات تدخل في هذه الخانة؟
□ كما يقول علم الاجتماع، فان اي فعل او سلوك لافراد المجتمع في مضمونه خرق للقيم والمعايير الاجتماعية او القانونية احيانا، هو اتجاه نحو السلوك الانحرافي. ليس من الضرورة اعتبار كل سلوك من هذا النوع اجراميا، لكنه سيُجعل من صاحبه شخصا منبوذاً في المجتمع، مجتمعه الصغير اولاً، والكبير في ما بعد.

■ اي عوامل تجعل من المراهق شخصا منحرفاً؟

□ العوامل عدة منها الفقر والتنشئة الاجتماعية التي نعتبرها، لوحدها، اساساً للانحراف او عدمه، لان لا اساس لوجودها. اذا نظرنا الى المناخ المدرسي والآتي منه سنجد اسباباً كثيرة لحدوث الانحراف عند الاطفال والمراهقين. دور المدرسة ومسؤوليتها ليس في النظام الاكاديمي فقط، بل في النمو الفكري والجسدي لتلامذتها. في مرحلة المراهقة يتواجد التلميذ في المدرسة اكثر من بيئته ليصبح هذا المكان مجتمعا ثانياً له، يلقيه الامور المسموح بها وغير المرغوب فيها، ويرشده الى كيفية التعامل مع الآخر وضرورة احترامه. هذه العناوين يتلقاها التلامذة من مادة التربية الوطنية. مع هذه الارشادات يرى التلميذ وجهاً آخر في التربية واربابها يكشفه استاذة او مدير المدرسة، وذلك بتعرضه للتمييز بينه وبين تلميذ آخر، او للعنف الكلامي والضرب، او للتحرش الجنسي من احد المسؤولين في مدرسته. عدم مواكبة هذه المشكلة من مصدرها الاساس يدفع بالمراهق الى السلوك الانحرافي كرد فعل على ما جرى له، وفي حال تعرف الى رفاق او عصابة مهيأة للانحراف سينضم اليها ليضيع فيها.

■ ما الذي يحاول قوله المراهق من سلوكه الانحرافي، وهل موقفه هذا هو للفت النظر، نظر من بالتحديد؟